

المحاضرة الثانية عشر: مناهج تحليل الأدب الشعبي (التاريخي الجغرافي، النفسي، الوظيفي البنيوي).

تمهيد:

لكل علم من العلوم مادة ومنهج، ومادة العلم هي الظواهر التي يتناولها بالتحليل، أما منهجه فهو طريقة المعرفة التي يسلكها الباحث في سبيله إلى التعرف على حقيقة تلك الظواهر، فنقول مثلاً: العلوم الطبيعية، ونعني بها المناهج العلمية التي تتناول بالتحليل الظواهر الطبيعية حال الفيزياء والأحياء وغيرهما، ونقول العلوم الاجتماعية ونعني بها المناهج العلمية التي تتناول الظواهر الاجتماعية بالتحليل.

أولاً- مفهوم المنهج:

1- في اللغة: - المناهج جمع منهج، والمنهج في اللغة يعني الطريق الواضح، ونهج الطريق، بمعنى أبانه وأوضحه، ونهجه بمعنى سلكه بوضوح واستبانة⁽¹⁾.

فالمنهج هو الطريق الواضح المستقيم والبين والمستمر، للوصول إلى الغرض المطلوب أو تحقيق الهدف المنشود، كما يعني كيفية أو طريقة فعل أو تعليم شيء معين، وفقاً لبعض المبادئ بصورة مرتبة ومنسقة ومنظمة.

2- في الاصطلاح:

والمنهج بمعناه الفني العلمي والاصطلاحي الدقيق يقصد به: ((الطريق الأقصر والأسلم للوصول إلى الهدف المنشود))⁽²⁾.

كما عرف بأنه: ((فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة، إما من أجل الكشف عن الحقيقة حين نكون جاهلين بها، إما من أجل البرهنة عليها للآخرين حين نكون عارفين بها))⁽³⁾.

أو أنه: ((الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم، بواسطة طائفة من القواعد العامة التي تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته، حتى يصل إلى نتيجة معلومة))⁽⁴⁾.

أو هو: ((استعمال المعلومات استعمالاً صحيحاً في أسلوب علمي سليم، يتمثل في أسلوب العرض والمناقشة الهادئة، والتزام الموضوعية التامة، وتأييد القضايا المعروضة بالأمثلة والشواهد، من دون إجحاف أو تحيز))⁽⁵⁾.

¹ - ابن منظور، لسان العرب، ج 2، مادة (نهج)، ص 383. محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، بيروت، 1986، ص 284.

² - عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي، ط3، وكالة المطبوعات، الكويت، 1977، ص 7.

³ - محمد طه بدوي، المنهج في علم السياسة، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2000، ص 115.

⁴ - المرجع نفسه، ص 115.

⁵ - المرجع نفسه، ص 115.

أو هو: ((مجموعة الإجراءات الذهنية التي يمتثلها الباحث مقدما لعميلة المعرفة التي سيقبل عليها، من أجل التوصل إلى حقيقة المادة التي يستهدفها))⁽⁶⁾.

فالمنهج عملية فكرية منظمة، أو أسلوب أو طريق منظم دقيق وهادف، يسلكه الباحث المتميز بالموهبة والمعرفة والقدرة على الإبداع، مستهدفا إيجاد حلول لمشاكل أو ظاهرة بحثية معينة.

ثانيا - المنهج التاريخي - الجغرافي:

1 - مفهوم المنهج التاريخي - الجغرافي:

يعد هذا المنهج ((من أهم المناهج التي درست الفلكلور))⁽⁷⁾، إذ يقوم على الكشف عن أصول النصوص الشعبية لتحديد علاقتها بالظروف التاريخية التي مرت عليها من خلال تبادل الثقافات، وانصهرت بها وأصبحت جزءا لا يتجزأ من ثقافتها الحالية، من أجل الوصول إلى فهم التطور الذي وصلت إليه، ومعرفة العوامل المحلية التي أدت دورا مهما في تشكيل المادة الشعبية، فهو منهج يعتمد على التاريخ، وقد أدت المغالاة في استعمال عنصر التاريخ (الذي يمثل الزمان) إلى بروز حلقة مفقودة في دراسة هذه المادة، لذلك أضيف عنصر الجغرافيا (الذي يمثل المكان) لتحديد البعد المكاني للظاهرة المدروسة.

والهدف من هذا المنهج هو إعادة بناء تاريخ حكاية شعبية مركبة، وأحيانا تاريخ أغنية شعبية أو أي عنصر آخر من عناصر التراث الشعبي، ((ولقد تم تطوير هذا المنهج من أجل مقاومة التعميمات الطائشة المتعلقة بنشأة ومعنى الحكاية الشعبية، وذلك عن طريق الدراسة المدققة، غير المتحيزة لكل حكاية على حدا))⁽⁸⁾.

إذن، فالمنهج التاريخي - الجغرافي الفنلندي هو منهج يعتمد على عنصري الزمان والمكان لتحليل العناصر التراثية، خاصة الشعبية منها، ويعتمد أيضا على مبدأ الانتشار من الأصل الواحد للعنصر التراثي.

2 - خطوات المنهج التاريخي - الجغرافي:

ركز رواد هذا المنهج جهودهم على الحكاية الشعبية، وأقروا منذ البداية بنظرية الانتشار من الأصل الواحد، رافضين كل النظريات الأخرى في تفسير نشأة المواد الثقافية، فالحكايات التي تتعدد رواياتها لها في عرفهم زمان ومكان محددان، نشأت فيهما عن طريق عملية اختراع واعية، وهذا يعني أن كل الحكايات قد ارتحلت من مكان ما في شكل دوائر تتسع باطراد، ويتأثر هذا الانتشار في الاتساع بواسطة عدة عوامل أهمها: السفر والتجارة وغيرها من وسائل الاحتكاك، وعلى الدارس أن يقتني آثار هذا الانتشار بما يفرضه عليه المنهج الفنلندي من التزامات شاقة، فبعد اختيار موضوع البحث عليه يتتبع الخطوات التالية مع محاولة إخضاعها

⁶ - المرجع السابق، ص 115.

⁷ - حسن فهم، قصة الأنتروبولوجيا، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، مصر، دت، ص 110.

⁸ - د. دورسون، نظريات الفلكلور المعاصرة، تز: حسن الشامي ومحمد الجوهري، مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، السعودية،

2007، ص 45.

للمنموذج المختار⁽⁹⁾:

أ - تبني رواية من مئات الروايات الموجودة لتلك الحكاية الشعبية أو الأسطورة أو الأغنية الشعبية...
ب - القيام بجمع الروايات المتوفرة للمادة موضوع الدراسة حسبما توفرت، سواء من الأرشيفات والوثائق والدراسات السابقة أو الميدان وغيرها من المصادر.
ج - تحويل الحبكة الأساسية إلى وحدات وعناصر أساسية، والوحدات المتكررة في كل من الرواية النموذج؛ أي التمهصلات المكررة في كل الروايات.

د - إعداد جداول النسب المئوية لكل عنصر متكرر في تمهصلات روايات المادة موضوع الدراسة.

هـ - إعداد خرائط تبين التوزيع الجغرافي للمادة التراثية، حسبما توفر للدارس من إمكانيات.

و - تقييم التسجيلات الأدبية المبكرة، وتحديد أقدم عنصر من عناصر المادة موضوع الدراسة، ومحاولة ترتيب العناصر المكررة حسب النتائج المتوصل إليها.

ز - تحديد الطراز المنثيء الذي انبثقت عنه في صورته الأصلية في كل الروايات.

3 - مساويء المنهج التاريخي - الجغرافي:

على الرغم من أن المنهج التاريخي - الجغرافي مازال قادرا على احتواء الدراسات الفلكلورية وبخاصة المادية منها، إلا أن تفاصيله وأدواته الصارمة جعلته يتعرض للكثير من الانتقادات من قبل الباحثين، وبل ومن بعض علماء المنهج في حد ذاته، ويمكن رصد أهم المآخذ فيما يلي:

أ - يرى النمساوي "ألبرت فيلسكي" أن الصياغات الأدبية لقصة من القصص قد أثرت تأثيرا شديدا في تداول هذه القصة لدرجة تجعل أي محاولة لتتبع انتشارها الشفاهي أمرا عقيما لا جدوى منه⁽¹⁰⁾.

ب - يعترض ابرز علماء الفلكلور الاسكتلنديين المعاصرين على عدم المرونة والطبيعة الميكانيكية للدراسات المونوغرافية التي أخرجها الفنلنديون، وأساس هذه الانتقادات أن المنهج الفنلندي يحول القصص المدروسة إلى تجريدات إحصائية، وملخصات ورموز وجداول وخرائط متجاهلا العناصر الجمالية والأسلوبية والجانب البشري المتعلق بالراوي⁽¹¹⁾.

ج - إن المتطلبات الشاقة للمنهج الفنلندي تبدو غير متناسبة مع ما يخلص إليه من نتائج، كما أن مهمة جمع الروايات المعروفة لطراز معين تعبر مستحيلة التحقيق من الناحية العملية⁽¹²⁾.

⁹ - المرجع السابق، ص 45، 46.

¹⁰ - المرجع نفسه، ص 46.

¹¹ - المرجع نفسه، ص 48.

¹² - المرجع نفسه، ص 48.

د - لا يكتفي نقاد المنهج الفنلندي بالإشارة إلى ضآلة النتائج فحسب وإنما إلى المجال المحدود لتطبيقها أيضا فمعظم الدراسات المونوغرافية التي تتبع إجراءات هذا المنهج تركز على معالجة القصة الشعبية المركبة، أما القصة البسيطة ذات الموتيغ الواحد فتقاوم هذا النوع من التحليل⁽¹³⁾.

هـ - أفلتت الأغاني الشعبية من هذا المنهج بسبب سمة الثبات المهيمنة فيها، وبعدها عن الصيغ المتكررة، غير أن مبادئه طبقت على الأغاني ذات الطابع القصصي ونجحت في رسم الهدف⁽¹⁴⁾.

ثالثا- المنهج النفسي:

ارتبط موضوع الأرض الأم بالدراسات النفسية للشعوب، ويعني الباحثون بذلك تلك الأرض التي نشأ عليها الإنسان البدائي بتصوراته ومعتقداته، وتبحث مدرسة علم النفس التركيبي التي يتزعمها يونغ عن العناصر الشعبية التي تكون اللاشعور الجمعي. وقد أطلق يونغ على هذه الرواسب أو البقايا العقلية البدائية التي تعيش مع الإنسان المتحضر حتى اليوم مصطلح النمط الأصلي، ومن تم تركز المنهج النفسي حول الكشف عن التجارب النفسية ذات الطابع الجماعي ومغزاها وعلاقتها بالأصول الأولى للحضارات، وينصب الحديث عن المنهج النفسي في تحديد طبيعة مواد التراث الشعبي ودوافع التمسك بها والمستويات المتميزة بها.

1 - التحليل السيكولوجي لمواد الفولكلور:

إن الشعب هو موضوع الدراسة في علم الفولكلور وذهب بعض الباحثين، منهم (هوفان كراير) إلى أن الشعب هو أولئك الناس الذين يتميزون بنوع من الفكر البدائي وبأنهم لا يبتكرون الثقافة وإنما يتداولونها نقلا عن الجماعات أكثر تطورا اجتماعيا وفكريا.

كما جاء مفهوم (ريتشارد فايس) عن الثقافة التقليدية ليؤكد أن في داخل كل إنسان يوجد سلوك رسمي وسلوك شعبي ولذلك يصبح كل إنسان في المجتمع موضوعا للدراسة في علم الفولكلور، ويمكن أن تمثل الأبعاد النفسية إسهاما هاما في فهم الإنسان ولكن الاقتصار عليها يمكن أن يهمل الطبيعة الشاملة للإنسان ومقومات تفرده وتميزه.

وقد حاولت المدرسة الفنلندية في ميدان القصص الشعبي أن تربط منهجها التاريخي الجغرافي بنظرة سيكولوجية إلى المادة الشعبية، فالأساطير ليست في نظر بعض رواد هذه المدرسة مجرد حكايات عن الآلهة وحسب وإنما مستودعات التجربة الإنسانية.

2 - المصادر النفسية للفولكلور:

¹³ - المرجع السابق، ص 52.

¹⁴ - المرجع نفسه، ص 48.

يرتبط اهتمام الدراسة للتراث الشعبي بالعوامل النفسية التي ساهمت في صياغة عناصره التي مازالت تعيش فيها وتؤثر على حياتها واستمرارها. إن الموقف النفسي الذي صدر عنه العنصر الشعبي في يوم من الأيام قد لا يكون واضحاً عند الإنسان الشعبي في الحاضر وقد ينكر حامل التراث الشعبي المعاصر ارتباطه به. لقد حاول (أدولف باخ) أن يفسر العوامل الأساسية في نشأة عناصر الفولكلور كالحاجة إلى التسلية واللعب، إن الحكاية الخرافية في نظره تروى منذ البداية تحت تأثير التسلية. وكان الباحثون القدامى ينظرون إلى أحداثها باعتبارها محاولة لتقليد مختلف الأحداث التي تطرأ على العالم الطبيعي بظواهره المتعددة، وإذا كانت بعض الحكايات الخرافية تتضمن بعض التصورات الدينية القديمة فإنها تحتوي مع ذلك بعض الأفكار ذات طبيعة أخرى، وحاول البعض تفسير الألبان باعتبارها رواسب لاختبارات الحكمة القديمة بينما رأى الباحثون الآخرون أن اللغز نشأ منذ العهد القديم تعبيراً عن رغبة الإنسان في اللهو.

ليست جميع العناصر الشعبية نقلاً مباشراً لبعض الأشكال الدينية والسحرية القديمة ولكنها من إبداع الفنان أو الفرد الشعبي العادي. إن المرح وحب الفكاهة والميل إلى اللهو والدعابة من المصادر النفسية لظهور بعض عناصر الفولكلور.

3- المستويات السيكولوجية في الفولكلور:

ينصب الاهتمام هنا على تحديد المستويات السيكولوجية المتنوعة التي يمكن أن تندرج ضمن تراث الشعوب، أو بمعنى آخر تحديد مدى التزام بعض عناصر الفولكلور بأساليب أو خصائص الثقافة الكلاسيكية (التربية والتعليم). وتتناول هذه الدراسة السيكولوجية كذلك السمات البدائية العامة في ثقافة شعب معين، كما تعد العلاقة بين الثقافة والشخصية من ميادين البحث في علم النفس الذي يتناول تأثير الإنسان في الثقافة أو تأثره بها. وما يؤخذ على هذا المنهج النفسي عموماً هو مغالاة أصحابه في البحث عن أعماق الإنسان الشعبي فتتحول دراسة الفولكلور إلى سيكولوجية.

رابعا- المنهج الوظيفي في الأدب الشعبي:

فكر بروب في دراسة علمية للحكاية الشعبية تقوم على الموضوعية واستبعاد الأفكار المسبقة والخلفيات التي قامت عليها الذهنية الغربية، فانطلق من مفهوم المورفولوجيا، ويعني به دراسة الأشكال، واستسقى من علم النبات تحديداً لهذا المفهوم وهو الأجزاء المكوّنة للنبات والعلاقات القائمة فيما بينها أي دراسة بنية النبات، حيث قام بسحب هذا المفهوم على الحكاية الشعبية، فلاحظ أنّ الوحدات النصية بها قيم متغيرة وأخرى ثابتة، وهذه الأخيرة سمّاها بالوظائف⁽¹⁵⁾. وكلمة الوظيفة في اصطلاح بروب تعني «عمل الفاعل معرّفًا من حيث معناه في سير الحكاية»⁽¹⁶⁾، وبعبارة أخرى هي فعل تقوم به شخصية ما، من زاوية

¹⁵ - أحمد زغب، الأدب الشعبي، الدرس والتطبيق، ص 72.

¹⁶ - سمير المرزوقي، وجميل شاكر، مدخل إلى نظرية القصة، ص 24.

دلالتة داخل البناء العام للحكاية⁽¹⁷⁾، ومعنى ذلك أن الحدث يعتبر وظيفة ما دام رهين سلسلة من الأحداث السابقة التي تبرره ومن الأحداث اللاحقة التي تنتج عنه⁽¹⁸⁾.

تعد دراسة "بروب" الشهيرة التي ضمّنها في كتابه "مورفولوجية الحكاية الخرافية" الذي نشره سنة 1928م، معلمة بارزة في تاريخ الدراسات السردية، ولقد كان هدفه من وراء هذه الدراسة، الوصول إلى عزل العنصر الدائم والثابت عن التجليات المختلفة التي تشكل وفق تصوره سوى تنويعات لبنية واحدة⁽¹⁹⁾؛ أي بعبارة أخرى محاولة الوصول إلى عزل العناصر الدائمة والثابتة التي تشترك فيها كل الحكايات، ومن أجل ذلك رفض جميع التصنيفات التي تقوم على المواضيع والموتيفات، كما رفض أيضا المقاربات التاريخية التي تبحث في الجذور التاريخية للأشكال الفلكورية، لأن هذه المقاربات لن تضيف شيئا للباحث الذي يسعى إلى تحديد ماهية الحكاية⁽²⁰⁾.

وقد تمكن بروب بعد أن قام بدراسة مائة خرافية روسية، وتحليل بنيتها، من استنتاج ما سماه بالمثال الوظيفي، وهو البنية الشكلية الواحدة التي تولّد هذا العدد المحدود من الحكايات ذات التراكيب والأشكال المختلفة، فالعناصر الثابتة في الحكايات الخرافية هي الوظائف، وعددها إحدى وثلاثون وظيفة مثل وظائف الغياب، التحذير المساعدة...إلخ⁽²¹⁾.

أولا - الفرضيات التي انطلق منها بروب:

وتنحصر الفرضيات التي انطلق منها "بروب" في أربع نقط رئيسة يلخصها على الشكل التالي:

- أ- إنّ العناصر الثابتة في الحكاية، هي الوظائف التي تقوم بها الشخصيات كيفما كانت هذه الشخصيات، وكيفما كانت الطريقة التي تم بها إنجازها. ولهذا فإنّ الوظائف هي الأجزاء الأساسية في الحكاية.
- ب- إنّ عدد الوظائف التي تحتوي عليها كل حكاية عجيبة دائما يكون محدودا.
- ج- إنّ تتابع الوظائف متطابق في جميع الحكايات المدروسة.
- د- جميع الحكايات العجيبة تنتمي - من حيث نيتها- إلى نمط واحد⁽²²⁾.

إنّ النتائج المترتبة عن هذه الفرضيات - وبشكل خاص الفرضية الأخيرة - تعتبر شديدة الأهمية فرغم ارتباطها بنموذج حكائي محدد، وهو الحكاية الخرافية، قدمت إمكانية دراسة بنيات أنماط الحكاية الأخرى المعقدة كالقصة والرواية من أجل استخراج البنيات المجردة المشتركة بين مجموعة من القصص أو الروايات التي تنتمي إلى حقبة معينة، وهو أمر يسمح بتعليل التماثل الموجود بين النماذج المفردة بين اتجاهات بعينها، وذلك

¹⁷ - فيصل الأحمر، ونبيل داودة، الموسوعة الأدبية ج2، دار المعرفة، الجزائر، 2008م، ص 295.

¹⁸ - سمير المرزوقي، جميل شاكر، مدخل إلى نظرية القصة، ص 25.

¹⁹ - فيصل الأحمر، ونبيل داودة، الموسوعة الأدبية، ج2، ص 297.

²⁰ - المرجع نفسه، ص 295.

²¹ - المرجع نفسه، ص 296.

²² - حميد لمحمداني، بنية النص السردية من منظور النقد الأدبي، ص 24.

باستخدام خطة علمية دقيقة وليس فقط اعتمادا على ملاحظات عامة هي من قبيل الاتجاهات الشخصية للناقد لا غير⁽²³⁾.

وقد حدد بروب الوظائف التي تقوم بها الشخص في الحكايات العجيبة في واحد وثلاثين وظيفة، ووضع لكل وظيفة مصطلحا خاصا لها، وجعل لكل وظيفة أشكالا مختلفة قريبة منها أو متفرعة عنها، فإذا كانت الوظيفة الأولى وظيفة الابتعاد Eloignement يرمز لها بالحرف $B^1-B^2-B^3$... إلخ⁽²⁴⁾. تبدأ الحكاية الشعبية العجيبة في العادة بعرض الوضع الأصيل أو ما يسمى بالوضعية الاستهلاكية، فيقع تعداد أفراد العائلة أو تقديم الشخصية التي ستتمص دور البطل اسمها أو بوصف حالها، ورغم أن هذا الوضع لا يكون وظيفة فهو يمثل عنصرا تركيبيا هاما، وقد حصر بروب الوظائف في إحدى وثلاثين وظيفة كما يلي:

1- الوظيفة الأولى: النَّأي أو الرَّحيل (éloignement)

وذلك عن طريق ابتعاد أحد الأفراد من العائلة عن الدار أو القرية وهذا الرحيل: يمكن أن يترجم بصورة وصفات مختلفة عبر النصوص وقد يكون ذاهبا للزهوة، للصيد، للعمل، للحرب، أو الموت.

2- الوظيفة الثانية: المنع (interdiction)

تسبق في بعض الأحيان وظيفة الرحيل كأن يمنع أحد الأفراد من مغادرة البيت وقد يكون غير مرتبط بالرَّحيل، وهذا المنع يتخذ في النصوص أوصافا وصورا مختلفة كطلب نصيحة، وتوجيه، أمر، اقتراح أو رجاء⁽²⁵⁾.

3- الوظيفة الثالثة: خرق المنع (transgression)

عدم الامتثال للأمر، أو عدم احترام النصيحة.

4- الوظيفة الرابعة: الاستخبار (interrogation)

يتم فيها الحصول على إرشادات واستخبار ومعلومات، هنا تظهر شخصية شريرة تزود بمعلومات عن الشيء المرغوب أو الشخصية المفقودة.

5- الوظيفة الخامسة: الأطلاع (information)

يتحصل المعتدي على إرشادات حول ضحيته، وقد يأتي الاطلاع بصورة مباشرة كأن تجيب الضحية على سؤال المعتدي، وقد يكون بصورة غير مباشرة يأخذ مظهر عدم التبصر وبعفوية.

6- الوظيفة السابعة: الخداع (tremperie)

يحاول المعتدي خداع الضحية فتستولي عليها.

²³- المرجع السابق، ص 25.

²⁴- المرجع نفسه، ص 25.

²⁵- سمير المرزوقي وجميل شاكر، مدخل إلى نظرية القصة، ص 25.

7- الوظيفة السابعة: التواطؤ العفوي (complicité involontaire)

الضحية دون أن تدري أو تشعر بذلك تساعد المعتدي على اغتصابها تكون باقتناع البطل بالكلام الساحر فيسهل عمل العدو.

8- الوظيفة الثامنة: الإساءة (méfait)

يضر المعتدي بأحد أفراد العائلة أو يلحق به الأذى.

9- الوظيفة التاسعة: الوساطة أو التفويض (mandatement)

يفشي خبر الإساءة ويتجه إلى البطل بطلب أو بأمر أو يوّقد أو يسمح له بالذهاب لسد الافتقار أو لإصلاح الإساءة.

نمّيز بين نوعين من الوساطة، من ناحية الوساطة التي تحقق في كل قصة أو في كل مجموعة من الوظائف، والتي تسمح بانتقال من الوضعية الافتتاحية إلى الوضعية الختامية للقصة ومن ناحية أخرى الوساطة بين دورين فرضيين متضادين⁽²⁶⁾.

10- الوظيفة العاشرة: وظيفة الفعل المضاد (début de l'action contraire)

خروج البطل من أجل تقويم الإساءة وبالتالي انطلاق الصراع والتصارع معا بسبب الإساءة وسبب الافتقار.

11- الوظيفة الحادية عشر: وظيفة الانطلاق (départ)

ينطلق البطل من مسكنه ويبدأ رحلته الشاقة ومن هنا تبدأ الحكاية بالتطور.

12- الوظيفة الثانية عشر: الامتحان أو الاختبار (composition)

يتعرض البطل للامتحان، إنّ هذا الامتحان يظهر بأشكال وصور مختلفة يأتي على شكل أسئلة أغاز...وبالتالي يحصل البطل على المساعدة.

13- الوظيفة الثالثة عشر: وظيفة ردّ الفعل (réaction du héros)

رد البطل على مبادرة المانع سواء كان إيجابيا أو سلبيا.

14- الوظيفة الرابعة عشر: وظيفة تسلّم الأداة السحرية (réception de launilair magique)

توضع الأداة السحرية تحت تصرف البطل.

15- الوظيفة الخامسة عشر: الانتقال بين المملكتين (déplacement dans l'espace entre

deux royaumes)

ينتقل البطل نحو مكان ضالته ويمنح البطل بوسائل للتنقل على صهوة حصان، ظهر ذئب سجاد

سحرية.

²⁶ - عبد الحميد بورايو، الحكايات الخرافية في المغرب العربي، ص 18.

- 16- الوظيفة السادسة عشر: وظيفة الصراع (combat)
يخوض البطل صراعا ضد المعتدي هنا نميز نوعين بين هذا الشكل من الصراع، والصراع مع المانح والفرق بينهما يتجلى في نتيجة الصراع.
- 17- الوظيفة السابعة عشر: العلامة (marque)
يحمل البطل العلامة وتكون مثلا أثر جرح، منديل أو خاتم.
- 18- الوظيفة الثامنة عشر: وظيفة إصلاح الإساءة (réparation)
يقوم البطل بإصلاح الإساءة التي خرج من أجلها (قتل الوحوش أو العثور على الشيء المفقود أو الشيء المرغوب، أو إطلاق سجين...الخ).
- 19- الوظيفة التاسعة عشر: وظيفة الانتصار (victoire)
ينتصر البطل على المعتدي أو الشخصية الشريرة.
- 20- الوظيفة العشرون: وظيفة العودة (retour)
بعد تحقيق الرغبة يعود البطل إلى القرية أو المكان الذي غادره.
- 21- الوظيفة الواحد والعشرون: وظيفة المطاردة (poursuite)
تقع مطاردة البطل الوحش، المعتدي، الشخصية الشريرة تلاحق البطل محاولة الإلحاق به سرًا.
- 22- الوظيفة الثانية والعشرون: الإسعاف أو المساعدة (secours)
إغاثة البطل خفية سواء أكانت هذه الإغاثة ذاتية أو خارجية.
- 23- الوظيفة الثالثة والعشرون: الوصول خفية (arrivée incognito)
الوصول إلى القرية سرًا، يدخل البطل القرية خفية وفي صورة مجهولة لا يفتن به أحدا، كأن يدخل في صورة إنسان غريب وأجنبي.
- 24- الوظيفة الرابعة والعشرون: وظيفة البطل المزيف (présentation mensongères)
ظهور البطل المزيف: يتقدم لأهل القرية باسم البطل الحقيقي ويطلب المكافأة.
- 25- الوظيفة الخامسة والعشرون: مهمة صعبة (tache difficile)
يعرض على البطل عمل صعب وذلك من أجل التأكد من حقيقة البطل وادّعاء أنه بالاختبار.
- 26- الوظيفة السادسة والعشرون: وظيفة إنجاز المهمة الصعبة (tache accompli)
يقوم البطل بإنجاز المهمة الصعبة في حين يفشل البطل المزيف.
- 27- الوظيفة السابعة والعشرون: الاعتراف بالبطل الحقيقي (reconnaissance du héros)
من خلال نجاحه في إنجاز المهمات الصعبة ومن خلال العلامات التي يحملها في جسده أو من خلال شيء كان يعرف به منذ انطلاقه في البحث (منديل تهديه إليه أمّه، أو خاتم تلبسه إيّاه عشيقته...).

28- الوظيفة الثامنة والعشرون: كشف البطل المزيّف (وظيفة نزع القناع عن المعتدي): (le

Faux héros ou l'agresseur est démarqué)

يقع كشف قناع البطل المزيّف أو المعتدي بعد إخفاقه في انجاز المهمة الصعبة.

29- الوظيفة التاسعة والعشرون: وظيفة التّجلي (transfiguration)

ظهور البطل بمظهر جديد، وذلك بفضل عوامل سحرية الأول، أو حقيقية.

30- الوظيفة الثلاثون: وظيفة العقاب (punition)

يعاقب البطل المزيّف المعتدي كأن يجر خلف حصان مثلاً.

31- الوظيفة الواحدة والثلاثون: مكافأة البطل

وتظهر في صورة مختلفة عبر النصوص، مكافأة مالية، زواج بابنة السلطان، ويرتقي عرش الملك...

نلاحظ أن عدد الوظائف محدود (31) واحد وثلاثون وظيفة بينما تدور أحداث كل هذه

الحكايات مهما كان انتمائها الجغرافي والحضاري في حدود هذه الوظائف، وقد قام بروب بربطها -الوظائف-

حسب ورودها في الخطاب القصصي بمستوى خفي اعتبره البنية الخفية للحكاية.

ميز هذه الأخيرة شكلها البسيط وعناصرها القارة. وإذا أمعنا النظر في المثال الوظائف الذي استنبطه

بروب من الحكايات نلاحظ أنه ذو اتجاه واحد فالوظائف منظمة حسب مسار واحد له بداية (حدوث

الإساءة)، ونهاية (إصلاح الضرر الحاصل).

يجدر بنا الإشارة إلى الوظائف الإحدى والثلاثون تترجم أفعال وعلاقات الشخصيات داخل نص

الحكاية على اختلافها وتنوعها في انسجامها وتناقضها فهي تنتمي إلى إحدى الدوائر الفاعلة التي حددها بروب،

فبعد أن تحدث عن الوظائف بالتعليل قام بتوزيعها على الشخصيات الأساسية في الحكاية فرأى أن هذه

الشخصيات الأساسية تنحصر في سبع دوائر:

1- الدائرة الأولى: دائرة المعتدي أو الشرير **Agresseur ou méchant** وتضم الوظائف: الإساءة،

الصراع، المطاردة.

2- الدائرة الثانية: المساعدة وتضم إعطاء الشيء السحري للبطل.

3- الدائرة الثالثة: الواهب **Donateur** تنقل البطل من مكان إلى آخر، إصلاح الإساءة أو الافتقار،

انجاز مهمة صعبة، ظهور البطل من جديد.

4- الدائرة الرابعة: الأميرة **Princesses**: الشخصية المرغوب فيها وتحتوي وظائف طلب أداء مهمات

صعبة، اكتشاف البطل المزيّف ومعاينة المعتدي، زواج ومكافأة.

5- الدائرة الخامسة: الباعث (المرسل) **Mandateur** وتحتوي على إرسال البطل للبحث.

6- الدائرة السادسة: البطل **Héros** وتضم الوظائف التالية الانطلاق من أجل البحث، رد فعل

البطل، شروط المرسل، الزواج.

7- الدائرة السابعة: البطل الزائف **Faux Héros** فعل البطل المزيف تتضمن الانطلاق من أجل البحث، رد فعل على المطلب وشروط المرسل إدعاءات كاذبة⁽²⁷⁾. يعد هذا الطرح لمنهج "بروب" المورفولوجي أحد المناهج الأساسية والأكثر علمية في البحث واكتشاف العناصر المكونة لنص الحكاية⁽²⁸⁾. وقد حاول "بروب" أن ينتقل إلى ميدان تأويلي بعيدا عن الدراسة المورفولوجية، وذلك عندما تساءل عن الأسباب التي جعلت الحكايات الخرافية تخضع لسلسلة وظيفية واحدة في تركيبها، فرأى أن هذه الأسباب ينبغي تلمسها خارج الحكايات نفسها؛ أي في الواقع الثقافي الذي نشأت فيه وخاصة في المعتقدات الدينية وهذه النقطة تؤكد أن البحث الشكلاني لا يكفي وحده لقيام نقد حقيقي للأعمال القصصية، لأنه في لحظة ما، وعندما يتم تحليل البناء الداخلي تفرض كثير من التساؤلات نفسها على الناقد دون أن يستطيع الاعتماد على البناء الداخلي للإجابة عنها، وخاصة منها تلك التساؤلات التي تتعلق بدلالة هذا البناء الوظيفي نفسه⁽²⁹⁾.

خاتمة:

هذه بعض المناهج العلمية التي حاول من خلالها العلماء والنقاد النفاذ إلى لب النصوص والخطابات الأدبية الشعبية من أجل فهمها وفهم الجماعات الشعبية التي أبدعتها، وقد أسهمت هذه المناهج إسهاما كبيرا في حركية تطور المناهج النقدية التي عرفتها الساحة الأدبية في القرون الأخيرة.

²⁷ - ينظر: حميد لمحمداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص 25.

²⁸ - عدي عدنان محمد: بنية الحكاية في البلاء للمحافظ، دراسة في ضوء منهجي بروب و غريماس، دار نيبور، العراق، ط1، 2011، ص 15.

²⁹ - ينظر: حميد لمحمداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص 28.